

العراق يدفع أثمان ارتباك حلفائه

الكاتب



محمد السعيد إدريس

د. محمد السعيد إدريس

يبدو أن العراق سيظل لفترة غير معلومة رهناً لما يمكن تسميته بـ«الحسابات المرتبكة» بين أطراف الطبقة السياسية الحاكمة داخل العراق، بأطرافها ومصالحها المتناقضة من ناحية، وبين أهم طرفين متصارعين على العراق ومن يقف خلفهما من قوى داعمة: إيران كقوة إقليمية مجاورة للعراق وصاحبة نفوذ متفوق، والولايات المتحدة كقوة عالمية ما زالت ترى أن وجودها ونفوذها في العراق، الذي تأسس فعلياً نتيجة الغزو والاحتلال، يعتبر مرتكزاً محورياً في استراتيجيتها العسكرية الإقليمية. فالأطراف الداخلية التي تشكل الطبقة السياسية الحاكمة، والأخرى المناوئة، لها باتت مفعمة بصراعات وتناقض مصالح ممتدة ومتجذرة من شأنها الحيلولة دون التوصل إلى مشروع وطني يحقق الإصلاح السياسي المطلوب الذي ثار الشعب العراقي من أجله، ويقود إلى تغيير سلمي حقيقي يرسي «قاعدة المواطنة المتساوية» بدلاً من «قاعدة المحاصصة الطائفية» التي أرساها الاحتلال الأمريكي وأدت إلى تمزيق وحدة الشعب العراقي، وتشتيت ولاءاته، وتعميق تناقضاته. كما أن استمرار الصراع بين واشنطن وطهران على العراق، يفاقم بدوره من حدة الانقسام الداخلي، ويزيد من هوة التناقض، ويعرقل أي إجراء من شأنه الولوج إلى مشروع سياسي للإنقاذ، وفي القلب منه الانتخابات البرلمانية المبكرة التي جرى تأجيلها، لأسباب قيل إنها فنية تقدمت بها «مفوضية الانتخابات» من يونيو/ حزيران، إلى أكتوبر/ تشرين الأول المقبل، رغم كل ما يعترض هذه الانتخابات من قصور يهدد جدواها، ويحول دون جعلها أداة اختراق في مشروع الإصلاح المأمول، ويجعل منها «غاية» في حد ذاتها، يمكن اعتبارها «غاية إلهاء وتشويه» للدوافع والأهداف التي ثار الملايين من العراقيين للمطالبة بها

وسط هذا كله، فإن الشيء الأكثر مصداقية في العراق، بكل أسف، أضحى هشاشة الاستقرار السياسي والأمني الذي تكشف بشكل صارخ مع العمليات الإرهابية الأخيرة التي شهدتها العراق، وأعطت مؤشرات قلق بأن تنظيم «داعش»

الإرهابي ما زال له كلمة

فإذا كان العراق تنفس الصعداء بانقضاء الأسابيع الثلاثة المريعة التي سبقت نهاية ولاية الرئيس الأمريكي السابق، دونالد ترامب، من دون وقوع هجوم أمريكي، فإن تنظيم «داعش» لم يعط العراقيين فرصة لالتقاط الأنفاس، والتهيب لخوض معارك الإصلاح السياسي والاقتصادي. فقد تعرض العراق منذ ما يقرب من أسبوعين لأخطر هجمة نفذها هذا التنظيم منذ هزيمته الكبرى قبل عامين، عبر هجومين أحدهما انتحاري وسط بغداد خلف عشرات القتلى ومئات الجرحى، والثاني هجوم مسلح في محافظة صلاح الدين على أحد ألوية «الحشد الشعبي» أدى إلى مقتل وجرح العشرات. وقبل ذلك بأيام كانت «منطقة جرف الصخر» قرب بغداد، تعرضت إلى قصف ملتبس بين من اعتبره قصفاً لطائرات أمريكية ضد مواقع تقع تحت سيطرة «كتائب حزب الله» القريبة من إيران، ومن اعتبره قصف صاروخي لتنظيم «داعش» الذي كان اتهم أيضاً بتدمير سبعة خطوط نقل للكهرباء في محافظات ديالى ونيوى وصلاح الدين. «والأنبار.. أحداث أليمة حملت عنواناً أشد ألماً وهو «عودة داعش».

سؤال: لماذا الآن يعود «داعش»؟ هل هي عودة حقيقية لفرض وجوده مجدداً في العراق، أم عودة تكتيكية لإرباك الحسابات السياسية سواء كانت داخلية تتعلق بالانتخابات العراقية، أو كانت تتعلق باستهداف إعاقة وتلغيم أي نوع من التفاهات بين واشنطن وطهران بخصوص الاتفاق النووي ؟

السؤال يفجر من جديد أسئلة أخرى أكثر صعوبة من نوع: من الذي يقف وراء هذه العودة ولمصلحة من؟ خصوصاً في ظل اتهامات متبادلة أمريكية وإيرانية تتعلق بتحميل كل منهما للآخر مسؤولية تبني هذا التنظيم الإرهابي

الإرباك الأمني سرعان ما تحول إلى «إرباك سياسي» عقب إعلان الإدارة الأمريكية على لسان وزير الدفاع الجديد، لويد أوستن، إجراء مراجعة لقرار الرئيس السابق، دونالد ترامب، بتخفيض عدد القوات الأمريكية في العراق، وأفغانستان

الإعلان أدى إلى استنفار صفوف نواب الكتل الشيعية الحليفة لإيران، التي رفضت هذا الإعلان، وحذرت من وجود أطماع أمريكية للبقاء في العراق ضد إرادة الشعب العراقي التي أعلنها في قرار صادر عن البرلمان

هذه التطورات المتلاحقة بين ما هو أمني وما هو سياسي، تزيد من ضبابية الاستقرار في العراق، رغم تطمينات وزير الخارجية الأمريكي الجديد، أنتوني بلينكن، في اتصاله الهاتفي مع فؤاد حسين وزير الخارجية العراقي، التي أكد فيها أهمية استمرار النقاشات في إطار الحوار الإستراتيجي بين البلدين، وأن وزارته «تبني أعمدة الحوار على أساس استمرارية المسار الذي تم التوصل إليه في الجولات السابقة للحوار الاستراتيجي» بين البلدين. والسبب في ذلك أن هذه التطمينات تأتي في وقت ما زالت الإدارة الأمريكية تبحث فيه مقاربتها الأنسب مع إيران

mohamed.alsaid.idries@gmail.com